هذا ما يفسر ايمان العربي بأن الانسان لا يقدر أن يتكيف الا مع الاشياء والافكار التي يستطيع خياله أن يجاريها ويقبل بها ، أما تلك التي يعجز عن تفسيرها ، فانه يرفضها . وهو ، حين يواجه فكرا او شعرا لا ينبع مما يعرفه مباشرة ، يحاول اولا ان يفهمه بالمقارنة مع تراثه الذي يعرفه ، أي مع ما يفهمه ، وحين لا يكون ثمة مجال للمقارنة ، فان هذا الشعر أو الفكر يبدو له غريبا وخطرا . المهم ، بالنسبة اليه ، هو الواضح ، هو ما يفهمه ويسمح له بالتوجه في الطبيعة والثقافة ، في الحياة والمجتمع . ومن هنا يستخدم العربي موروثه لكي يفهم كل شيء ، وما يتناقض مع هذا الموروث لا يكون جديرا بأن يعطى اية قيمة .

٦ — في ضوء هذا كله ، ندرك الدلالة في صراع الافكار ، داخل المجتمع العربي ، بدءا مما سمي بعصر النهضة ، حتى اليوم . فهو يكاد ان يكون استعادة للصراع الماضي بين قيم الثبات الماضوية ، وقيم التحول المستقبلية ، حتى ليبدو غالبا انه يجري بالكيفية الماضية ذاتها تقريبا ، وبوسائلها ، القمعية والانعتاقية ذاتها تقريبا .

ندرك ، بالتالي ، الدلالة في موقف العربي المتناقض مما نسميه الحداثة . فهو يقبل منها كل ما يحسن الحياة وطرقها المعيشية بخاصة ، لكنه يرفض الموقف العقلي الذي أدى الى نشوء الحداثة . انه ، بتعبير آخر ، يأخذ من الحداثة منجزاتها العلمية التقنية ، لكنه يرفض النظرة التي أبدعتها . **والحداثة الحقيقية في الابداع ، لا في المنجزات بذاتها .**

III

حين نقول اليوم : « يجب أن يكتب الشاعر العربي بلغة يفهمها الجمهور » ، يبدو هذا القول ، في ضوء المسار التاريخي لمشكلة التعبير والاتصال، كما عرضتها بايجاز ، مبهما، لا يقول شيئا ، وخارج المشكلة الحقيقية .

آ — فهو مبهم لانه لا يحدد هذا الجمهور : هل هو الخاضع للثقافة الشعرية التقليدية ، أم هو المتحرر منها وما طبيعة هذا التحرر ؟ وهو مبهم ايضا لانه لا يحدد اللغة الشعرية : هل هي اللغة التقليدية ، أم هي اللغة الجديدة — وما طبيعة هذه الجدة ؟

ب — وهو لا يقول شيئا لانه يكرر بداهة . فالشعر يكون للآخر ، لجمهور ما ، او لا يكون شيئا .

ج — وهو خارج المشكلة الحقيقية ، لان هذه المشكلة ليست في تقرير الصلة بين الشعر والجمهور ، بل في **تحديد معنى هذه الصلة ، وتحديد الجمهور ، وتحديد اللغة الشعرية .**

IV

نحدد الجمهور السائد ، على صعيد فهم الشعر وتذوقه ، بالثقافة السائدة والتي هي جزء من الايديولوجية السائدة. هذه الايديولوجية المتحققة في مؤسسات المجتمع العربي: (العائلة ، المدرسة ، الجامعة ، التشريع ، السياسة ، الدين ، الثقافة بأشكالها الاعلامية والادبية) والمجسدة في ممارسات الاجهزة الايديولوجية للنظام العربي السائد، **لا تؤسس شروطا جديدة وعلاقات جديدة ، وانما تعيد انتاج العلاقات الاستغلالية الماضية** . فهذه الايديولوجية السائدة ليست الا استعادة للايديولوجية الاستغلالية الماضية ، وليس التحول السياسي ، الظاهري ، اكثر من ازاحة للطبقة القديمة المستغلة ، من أجل أن تحل محلها طبقة جديدة مماثلة ، لا من أجل تحرير الطبقة المستغلة . وهكذا فان العائلة في المجتمع العربي ما تزال أسيرة التكوين القبلي — الثيوقراطي ، والمدرسة العربية ليست تقليدية وحسب ، بل رجعية ايضا فيما تدرسه